تمهيد

شكّل علماء إيران بشكل عام -والحوزة العلمية بشكل خاص- ولا يزالون، بؤرة حيوية في مسيرة تجديد الفكر الديني والإسلامي، فمنذ أن دخلت إيران مرحلة الصراع ضد الاستبداد الداخلي، والاستعمار الخارجي، واعتماداً منها على مبدأ «الاجتهاد» و«المسؤولية»؛ أدّت الحوزة أدواراً تستحق الاهتمام والدراسة في مجال تجديد الفكر الديني والسياسي الإسلامي وحتى الفقه الإسلامي. إن مراجعة آراء الميرزا محمد حسين النائيني (1277-1355هـ) في الفكر السياسي الإسلامي، والشيخ مرتضى الأنصاري (1214-1281هـ) في الفقه وعلم الأصول، وآية الله حسين البروجردي (1292-1380هـ) في الفقه والحديث وقضية التقريب بين المذاهب الإسلامية، تُعدّ مثالاً لمسيرة التطوير والتجديد في الفكر الديني وضرورة نقد الذات.

ويُعدُّ الشهيد مرتضى مطهري[1] (1920-1980م) الذي جمع بين ثقافتين

---

(1) ولد الشيخ مرتضى مطهري عام 1340هـ/ 1920م في خراسان، وبدأ دراسته الابتدائية في مدينة مشهد ثم انتقل الى حوزة قم لإكمال دراساته الإسلامية، ودرس على يد آية الله البروجردي والخميني والسيد الطباطبائي. انتقل عام 1952 إلى طهران، ليصبح أستاذاً في كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية التابعة لجامعة طهران. وبسبب نشاطاته الدينية والسياسية اعتقل عام 1963. ساهم في تأسيس عدة مراكز دينية وإسلامية منها حسينية الإرشاد التي كان هو وعلي شريعتي يحاضران فيها.
ساهم بفاعلية في نجاح الثورة الإسلامية وقيادتها عام 1979م وأصبح عضواً في (مجلس قيادة الثورة). واغتيل على يد منظمة دينية متطرفة تحمل اسم (فرقان) في السنة الأولى من نجاح الثورة وكان أول شهيد فيها. وقد كان خطيباً بارزاً وكاتباً ومفكراً، نشر أكثر من خمسين كتاباً إسلامياً ولعب دوراً فكرياً كبيراً في نقد الفكر الماركسي ومحاصرة انتشاره في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، وكذلك في تصحيح الفكر الإسلامي وتجديده.

هما نتاج الدراسة الدينية في الحوزات العلمية والدراسة الحديثة في الجامعات العصرية، رائدَ التجديد ونقدِ الفكر الديني، والدعوة للعودة إلى القرآن الكريم وتصحيح الأفكار ونبذ البدع.

اتسم منهج المستشرقين والعلمانيين في نقد الفكر الديني بأنه انطلق من قاعدة غير دينية، وبأنه وظّف لأهداف سياسية واستعمارية أي غير دينية أيضاً، ولذلك خرجت آراؤهم بعيدة عن الواقع وغير مجدية للأمّة. ومنذ أن تولى أصحاب الاختصاص في الفكر الديني نقد هذا الفكر والتراث والتجربة التاريخية وعرضه على المعايير الفكرية الأصيلة لتمييز الأصيل من الدخيل، فإننا نلاحظ تصاعد المدّ الإسلامي والعودة إلى الدين، ليس فقط في أنحاء العالم الإسلامي -الذي سال لعابه لفترةٍ أمام التيارات العلمانية والماركسية والوجودية- وإنما في الأوساط العلمية الغربية أيضاً التي خضعت لضغط التيار التيار الإلحادي في الغرب عدة عقود، حيث نرى اليوم عودة علماء الغرب إلى الدين ولا سيّما الإسلام. والمجتمع في إيران كغيره من مجتمعات العالم الإسلامي مصاب بظاهرة تقليد الماضين وقبول الإشاعات والتأثر بالفرقة، ممّا أدّى إلى شيوع كثير من البدع والخرافات البعيدة عن الأصول الإسلامية وهدي القرآن الكريم. ولقد تصدّى الشهيد المطهري لهذه الظاهرة على مدى ثلاثين عاماً من نشاطه الفكري عبر المحاضرات -في المساجد أو جامعة طهران- ومن خلال مؤلفاته.

وإذا كانت الحركة الإسلامية في إيران مَدينة سياسيّاً في نجاحها للإمام الخميني، فإنّها مَدينة في وعيها الديني والحداثي لشخصيتين بارزتين، هما: الشهيد مرتضى مطهري، والدكتور علي شريعتي.

وبالرغم من أن أفكار هؤلاء الإصلاحيين كانت بمثابة إجابات لتحديات العقود الماضية -قبل الثورة- فلقد ظهرت تحديات جديدة خلال الفترة المعاصرة تصدى لها آخرون، إلّا أنّ معرفة هذا النوع من الحراك الفكري يكشف عن الصورة الواقعية للحركة الفكرية والثقافية في أوساط المسلمين في العقود الماضية.

لقد نُشرت محاضرات وكتب الشهيد المطهري جميعها باللغة الفارسية، وتُرجم بعضها إلى العربية -ونُشرت في بيروت وطهران (انظر القائمة في آخر هذا الكتاب) ولكن هذا الكتاب هو مقتطفات منتقاة من كُتبه قُسّمت موضوعيّاً في أحد عشر فصلاً استوعبت مجالات نقد الفكر الديني فقط. تجدر الإشارة هنا إلى أننا في هذه الترجمة قد دمجنا الفصلين الأول والثاني، كذلك الفصلين السابع والثامن. أما الفصلين الخامس والعاشر من الكتاب الأصل فلم يترجما.

وقد نشر ضمن هذه السلسلة أيضاً تقويماً علميّاً لأفكار ستة من مفكري إيران ومنهم المطهري(*). نرجو أن يكون مفيداً للقارئ العربي.

ولعله من المهم أن نشير إلى أن غالبية مصادر البحث مكتوبة باللغة الفارسية وقد اكتفينا بإثباتها في الهوامش مع ترجمة عنوان المصدر إلى العربية، ولم نفرد لها فهرساً في آخر الكتاب كما هو مألوف.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

صادق العبادي

(*) ضمن كتاب «اتجاهات الفكر الديني المعاصر في إيران»، لمجيد محمدي، ترجمة ص. حسين، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالاشتراك مع الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت 2010.